منهج الخلخالي في شرحه لتفسير البيضاوي

مصطفى محمد صالح عطية الحمداني أ.م.د. عمار حكمت فرحان الحديثي

mustafamohammedsaleh@gmail.com

جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية/قسم العقيدة والفكر الإسلامي

الملخص:

إنَّ أفضل ما يسعى إليه الإنسان وخير وما يقدمه مِنَ الإعمال الصالحة خدمة كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل مِنْ بين يديه ولا مِنْ خلفه، والذي جعله الله نورًا للإنسانية وختم به الرسالات السماوية وامتن به على البشرية، وبما أنَّه كان للعلماء القدامى اليد الطولى في تفسير القرآن العظيم وكذلك المتأخرين منهم ممن اشتغل بذلك فذللوا بذلك الكثير مِنَ الصعاب على طلبة العلم فقد جعلهم الله جل ثناؤه حملة هذا الكتاب العزيز وسرج هذا الدين ومشاعل نور لهذه الأمة، والشيخ الخلخالي مِنْ بين هؤلاء العلماء والذي كان له دور في خدمة كتاب الله المجيد.

ولقد تعددت مناهج المفسرين ومدارسهم واتجاهاتهم، ومن أمثلة مناهج التفسير: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي بنوعيه المحمود والمذموم، والتفسير الذي يجمع بينهما، وعلى مر التاريخ شهدت المكتبة الإسلامية حشداً هائلاً من المفسرين الذين سعوا إلى فهم كتاب الله فهاً صحيحاً يمزج بين المنقول والمعقول، ويوائم بين الأثر المروي والاجتهاد الشخصي، فلا غرو أن حفلت المكتبة الإسلامية بمئات التفاسير المتباينة مادة ومنهجاً. ولا ريب أن ثراء المكتبة الإسلامية بمصنفات علم التفسير، قد أغرى وحفز الكثيرين من الباحثين بالعكوف على هذا العلم وإماطة الحجاب عن درره المخبوءة، ونفائسه العجيبة.

الكلمات المفتاحية: (منهج الخلخالي، شرح، تفسير البيضاوي).

Al-Khalkhali's approach in his explanation of the interpretation of Al-Baidawi

Prof. Dr. Ammar Hikmat Mustafa Muhammad Salih
Farhan Al-Hadithi Attia Al-Hamdani
University of Baghdad/College of Islamic Sciences/Department of Creed and Islamic Thought

Abstract:

The best of what a person strives for and the goodness and good deeds he offers are the service of the Holy Book of God, which falsehood does not come to it from before it or from behind it, which God made a light for humanity, sealed the heavenly messages with it, and was grateful to humanity, and since the ancient scholars had the upper hand in interpreting The Great Qur'an, as well as the later ones among them who occupied themselves with that, and thus surmounted many difficulties for the students of knowledge, for God Almighty made them bearers of this dear book, the lamp of this religion and the torches of light for this nation, and Sheikh Al-Khalkhali is among these scholars who had a role in serving the Glorious Book of God.

There are many methods of interpreters, their schools, and their trends, and examples of the methods of interpretation are: exegesis with the maxim, interpretation by opinion with its two types, praiseworthy and blameworthy, and the interpretation that combines them. Between the narration and personal diligence, it is not surprising that the Islamic library was filled with hundreds of different interpretations, material and method. Undoubtedly, the Islamic library's richness in the works of the science of interpretation has tempted and motivated many researchers to devote themselves to this science and to remove the veil from its hidden pearls, and its amazing preciousness.

Keywords: (Al-Khalkhali method, explanation, interpretation of Al-Baidawi).

المبحث الأول

حياة الخلخالي وعصره

المطلب الأول

حياته الشخصية

أولا: اسمه ونسبه ولادته ونشأته وموطنه:

هو المولى السيد حسين بن حسن الحسيني الخلخالي(الدمشقي، بلا تاريخ، ١٢٢/٢)، ونسبته إلى خلخال مدينة بأذربيجان(كحالة، بلا تاريخ، ٣١٩/٣)، وهي مدينة وكورة في طرف أذربيجان، متاخمة لجيلان في وسط الجبال وأكثر قراهم ومزارعهم في جبال شاهقة، بينها وبين قزوين سبعة أيام، وبين أردبيل يومان، وفى هذه الولاية قلاع حصينة(الحموي، ١٩٩٥م، ٣٨١/٢) أمَّا ولادته ونشأته فمن خلال البحث في كتب التراجم، لم أجد عنه شيء يذكر فيما تسير إليَّ الاطلاع عليه من هذه المصادر.

ثانيا: وفاته:

لم تذكر كتب التراجم سوى أنَّه توفي سنة: ١٠١٤هـ(الدمشقي، بلا تاريخ، ١٢٢/٢).

المطلب الثاني

حياته العلمية

أولًا: شيوخه:

لم تذكر المصادر الكثير عن شيوخه إلا واحدًا، فالخلخالي أخذ عن العلامة حبيب الله الشهير بمرزاجان الشيزاري(الدمشقي، بلا تاريخ، ١٢٢/٢).

ثانيًا: تلاميذه:

لم تقتصر جهود الشيخ الخلخالي العلمية على التأليف والتصنيف بل تجاوز ذلك إلى التعليم والتدريس، ولا شك أنَّ هكذا عالم لابد له من تلاميذ تلقوا عنه العلوم واذكرهم على النحو الآتي:

١- عبد الكريم بن سليمان بن عبد الوهاب الكوراني(الزركلي، ٢٠٠٢م، ٢/٢٣٥).

٢- عبد الرحيم بن محمد: مفتي الدولة العثمانية المحقق الشهير أحد أعيان علماء الزمان الذين ابتهجت بهم الأوقات وتزينت بحلى مآثرهم الأيام رحل في مبدأ أمره من بلده ادنه إلى بلاد الأراد وقرأ بها العلوم الحكمية والرياضية والطبيعية والإلهية على المولى حسين الخلخالي وفاق في المعرفة والاتقان ثم اعتني بتتميم المادة حتى اجتمع فيه من الفنون ما لم يجتمع فيما سواه ممن عاصره وكان في جميع أحواله مثابرا على التحصيل لا يمل ولا يفتر ونما به حظه فوصل إلى المدرسة السليمانية وولي منها قضاء ينكى شهر ثم تقاعد بعد ذلك عن القضاء واختار التدريس فوجهت إليه مدرسة السلطان أحمد برتبة قضاء قسطنطينية ثم ولي قضاءها استقلالًا ونقل منها إلى قضاء العسكر بابا طولي في سنة خمس وألف ولما عزل عنها أمر بالتوجه إلى بلده أدنه بالأمر السلطاني ثم عاد منها بطلب مِنْ جانب السلطنة، وولي قضاء العسكر بروم أيلي في شوال سنة خمس وخمسين وألف ثم صار مفتي الدولة في سنة سبع وخمسين وألف وتمكنت قواعد جاهه في الفتيا واستقل بأمر الدولة حتى كان برأيه قتل السلطان إبراهيم، وقد قام بذلك الأمر أتم القيام وأفتى بقتله بناء على أنَّه انتهك بعض الحرمات وانجر أمره في ذلك إلى غصب بعض نساء ذوات أزواج ونقم عليه أمور غير ذلك كلها خارجة عن جادة الشريعة فخلعه صاحب الترجمة مِنْ السلطنة وأفتى بقتله فقتل كما ذكرناه في ترجمته وعلت حرمة المترجم بعد ذلك وهابه الخلق ثم عزل عن

الفتيا وأمر بالتوجه إلى الحج فسار مِنَ البحر إلى مصر وذلك في سنة تسع وخمسين ثم بعد ما حج عاد مِنَ الطريق الشامي ونزل بالمدرسة السليمانية ووجه إليه قضاء القدس فتوجه إليها وأزال منها بعض أموره منكرة ثمَّ وجه إليه قضاء بلغراد وإفتاؤها فسافر إليها وأقام بها إلى أنْ توفي وكانت وفاته في حدود سنة:١٠٦٢هـ (الدمشقي، بلا تاريخ، ٢/٤١١-٤١٢).

٢- محمد الأمين بن صدر الدين الشرواني: نزيل قسطنطينية أجلّ أفراد الدنيا في التحقيق والتبحر مِنْ كل فن لم تر عين مَنْ وصل الى ثمة مِنْ ذكائه وتضلعه مِنَ العلوم في عصره أخذ عن الملا حسين الخلخالي وكان يعرض عليه حاشيته على شرح العقائد العضدية للملا جلال الدواني فيزيفها له حتى شهد له بأنَّه أفضل منه ومِنْ مؤلفاته: تعليقات على أماكن مِنْ تفسير البيضاوي، وكلامه فيها يدل على أنَّه جمع الفنون كلها، وشرح على جهة الوحدة التي للفنري في أول شرحه على ايسا غوجي صعب المسلك وهو يقرأ في الروم واعتنى به جماعة وكتبوا عليه حواشي وتحريرات منهم السيد المعروف بأزميرى أمير واعظ جامع السلطان بايزيد كان قد كتب قرأته بعون الله تعالى مع حواشيه بالروم وانتفعت به، وله كتاب سماه: الفوائد الخاقانية، مشتمل على ثلاثة وخمسين علمًا ألفه باسم السلطان أحمد وجعل العلوم التي فيه عدد اسمه توفى في سنة:١٠٣٦هـ (الدمشقي، بلا تاريخ، ٣/٤٧٥-٤٧٦).

ثالثا: مذهبه العقدي والفقهي

لا شك أنَّ لعقيدة المسلم أهميتها وخطورتها في سلوكه وخُلقه وثقافته وفكره وسائر نشاطاته العلمية، والأمر أكثر أهمية بالنسبة للأئمة والعلماء، لاتساع أثر العقيدة وامتداده إلى تلاميذهم، ومؤلفاتهم التي يتلقاها القراء، والمتعلمون وهكذا يسلكون طريقهم

وينهجون منهجهم، فإنَّ سلموا مِنَ الفساد في العقيدة والانحراف في السلوك كانوا هداة خير ودعاة إلى السبيل القويم وإلا لحق الضرر والضلال بالتابعين لهم والسالكين طريقهم.

أمَّا مذهبه العقدي: فهي عقيدة أهل السنة والجماعة، وتتضح سلامة عقيدته من حكمه على الفرق الضالة والاتجاهات المنحرفة، حسب ما اتضح لي مِنْ خلال تحقيقي لمخطوطه هذا

وأمَّا مذهبه الفقهي: فهو على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان(كحالة، بلا تاريخ، ٣١٩/٣).

رابعا: مكانته العلمية وآثاره الخطية

مما لا شك فيه أنَّ ما يقرر ثقافة العلماء ومكانتهم هو مؤلفاتهم وتلامذتهم الذين أخذوا عنهم العلم واشتهروا في الأفاق وحدثوا عن شيوخهم، ورغم قلة المصادر التي تحدثت عنه في هذا الجانب، إلا أنه قد ظهر جلياً أن الشيخ الخلخالي أحتل مكانة علمية عصره، ودليل ذلك مصنفاته التي ألفها، كما أن القارئ لها يجده باحثًا مِنَ الطراز الأول، فهو موسوعي وصاحب علم جم وثقافة واسعة، فقد كان متمكنًا مِنَ اللغة مالكًا لعدة النحو والصرف والبلاغة عارفًا بالفقه وآراء الفقهاء، ملمًا بالحديث النبوي الشريف، ممتلئاً بأقوال المفسرين، عالمًا بآراء علماء العقيدة والفرق والمتكلمين حافظًا للشعر وأقوال السلف الصالح، وغير ذلك مما يحتاجه مَنْ يتصدَّى لتفسير آيات الذكر الحكيم.

وقدم الشيخ الخلخالي للتراث الإسلامي والإنساني مجموعة مِنَ المؤلفات في مختلف العلوم المعروفة في زمانه غير أنَّ أكثر هذه المؤلفات لم تصل إلينا وبعضها لا زالت مخطوطة تنتظر الطبع، وقد تنوعت مؤلفاته وأثاره فشملت كثير مِنَ العلوم كالتفسير واللغة والفقه والعقيدة وغير من العلوم التي برع فيها، وفيما يأتي أهم مؤلفاته وآثاره التي

تيسر لي الاطلاع عليها (الزركلي، ٢٠٠٢م، ٢/٢٣٥) و (كحالة، بلا تاريخ، ٣/٣١٩):

١- حاشية على شرح الدواني لتهذيب المنطق.

٢- حاشية على شرح العضدية.

٣- المفاتيح في حل المصابيح.

٤- حاشية على تفسير البيضاوي.

٥- شرح الدائرة الهندية.

٦- رسالة في المبدأ الأول وصفاته.

٧- شرح الكافية لابن الحاجب.

المطلب الثالث

عصر الخلخالي

إنَّ الإنسان وليد بيئته التي يولد ويترعرع ناشئاً في أكنافها، يصطبغ بصبغتها ويتأثر بظروفها ؛ إذ أنَّ للبيئة التي ينشأ فيها المرء والظروف التي تحيط به أثر عظيم في بناء الشخصية الإنسانية ونبوغها الفكري في ميادين الثقافة والإبداع وذلك؛ لأنَّ ما يسطره الإنسان مِنْ تأليف في العلوم والفنون المختلفة لا يخلو مِنْ روح العصر وفكره الشائع، سواء كان ذلك تصديًا لما هو قائم وشائع، أو استجابة له وانصياعًا لتياراته.

ومِنْ هنا كان مِنَ الانصاف وأنا أكتب عن ذلك العالم الفاضل أنْ أضع سطورًا مِنْ صفحات هذه الأطروحة عن بيئته التي نشأ وترعرع فيها وظروف عصره التي أَحاطت به مِنَ النواحي الآتية بإيجاز غير مخل لقلة المصادر التي تحدثت عنه:

أولا: الحالة العلمية

قامت المؤسسات التعليمية العثمانية وتطورت الحياة العلمية بفضل التقاليد المستقرة التي ورثها العثمانيون عن الحواضر القديمة منذ عهد السلاجقة، وقد سار التعليم لحقبة طويلة عند العثمانيين عن طريق المؤسسات الرسمية وغير الرسمية ويمكننا القول أنَّ المدارس العثمانية في عهودها الأولى كانت استمرارًا طبيعيًا للنشاط التي توطدت أركانه في مدن الأناضول قبل العثمانيين، مثل: أماسيا، وقونية، وقيسرية، وقرمان، وكان الفضل في ظهور هذا النشاط للعلماء الذين وفدوا من مصر وسوريا وإيران وتركستان والتي تعد مِنْ أهم المراكز العلمية والثقافية في ذلك العصر(أوزتونان، ١٩٨٨م، ٤٨٥/٢).

وأسهم نظام المدرسة التي تركه السلاجقة الأتراك مع ما أضافه الأتراك العثمانيون عقب كل فتح مدينة جديدة أنْ يكون همهم الأول هو إقامة جامع والى جواره مدرسة وكان هذا التقليد موجه لتنشئة الكوادر الإدارية والعلمية اللازمة لإدارة دفة الأمور في الدولة، فضلًا عن القيام بالمهمات الدينية والعلمية والتعليمية اللازمة للدولة والمجتمع(أوغلى، ٢٠٠١م، ٤٥٣/٢).

وقد خبر السلاطين العثمانيين الأوائل قيمة العلم والعلماء فكانت لهم خطوات ملموسة للتشجيع عليه، وكانت بداية التعليم المدرسي عندهم بداية متواضعة ظهرت مع أول مدرسة في الدولة وهي مدرسة أزنيق التي أقامها السلطان أرخان غازي سنة ٧٣١هـ(إينالجيك، ٢٠٠٢م، ٢٥٥).

وجرى تشجيع نظام الأوقاف ليكون هو السياسة المعتمدة التي تجري عليها الدولة فالمدرسة هي عبارة عن مؤسسة وقفية تكون عنصرًا مِنْ مجمع يضم جامعًا وغيرها مِنَ المنشآت الخيرية التي تساعد على التعليم، وهي مؤسسة تدار إدارة ذاتية لها أوقاف

تصرف عليها مِنْ بساتين ودور وأسواق، أمَّا المدرس فيعين بمرسوم سلطاني(إينالجيك، ٢٠٠٢م، ٢٥٩)، ولم يمض وقت طويل حتى كثرت المدارس في كافة مدن الدولة وكانت علوم الدين والعربية مِنَ المقومات الأساسية في ثقافة الترك آنذاك، وهو الاستمرار الطبيعي للعصر العباسي فالسلجوقي فالمملوكي، ولكن لابد لكل عصر من ميزات(باشا، ١٩٨٠م، ٢٠٣).

وكانت حياة العثمانيين العلمية تكاد تخلو مِنَ الإبداع فهي تتخذ طريقها في مجاري التقليد والتبعية، ذلك أنَّ العلم بالنسبة للشاب التركي المسلم ليس معرفة جديدة، بل التمكن لأبعد حد ممكن مِنَ العلوم التي أنتجتها الأجيال السابقة، وكان أعظم القدر عندهم التفقه في الدين(بروكلمان،١٩٨٤م، ٤٨٢).

ولما اعتلى السلطان سليمان القانوني عرش السلطنة أراد أنْ يضفي على التعليم في دولته تغييرًا جذريًا، فبنى كليته في المرتفع الثاني مِنَ المرتفعات السبعة التي تعرف بها اسطنبول، وهذه الكلية التي أطلق عليها اسم السليمانية، مثلت ذروة التاريخ الثقافي والعلمي والتعليمي عند العثمانيين، وقد شكل إنشاء تلك الكلية ما بين ٩٦٣-٩٧٥هـ الكشف عن قوة القانوني وعبقرية المعمار سنان (ت: ٩٨٠هـ) مرحلة تطور هامة في التعليم العثماني والتجديدات التي طرأت عليه، فقد أقام حول جامعه عددًا مِنَ المدارس والكتاتيب، وكان التعليم فيها في شتى المستويات وفروع التخصصات، وأقيم داخل الكلية كتاب للصبية وأربعة مدارس عرفت بمدارس الصحن، كما أوجد مدرستان للتخصص وهما: مدرسة الحديث (دار الحديث) ومدرسة الطب (دار الطب) عرفت بالمدارس السليمانية (إينالجيك، ٢٠٠٢، ٢٥٩). إلى جانب مرافق أخرى مِنْ مكتبات ودار الإطعام ودار النقاهة وكانت كلية القانوني تمثل النموذج المتطور بعد كلية الفاتح، وتقوم بخدماتها العلمية والدينية والإنسانية والاجتماعية والثقافية في إطار

متكامل، وقد رتب القانوني أجر كل مدرس من مدارسه، فالمدارس الأربعة يتقاضى مدرسوها: ستون أقجة* (محمود، ٢٠١٣م، ٣٦٢)، ومدرس دار الحديث: خمسون أقجة، ومدرس دار الطب: عشرون أقجة، وبهذا تصدرت مدارسه مدارس الصحن التي أنشأها الفاتح وقد ارتفع أجر مدرس دار الحديث إلى مائة أقجة، وبذلك أصبحت تلك المدرسة أرفع المدارس العثمانية(أوغلى، ٢٠٠١م، ٤٦٠/٢)، واستطاعت المدارس السليمانية أنْ تحافظ على مكانتها العالية داخل التدرج المعروف في المدارس حتى العهود التالية، ويعتبر عصر سليمان القانوني منعرجًا حاسمًا لنظم التعليم في الدولة فقد نظمها بمراسيم سلطانية بعد سنة:٩٢٦هـ، وحدد أنماط المدارس للدراسات العليا وأخرى للدنيا، وقسم درجات الدراسة إلى إحدى عشرة قسمًا مجزأة إلى جزأين: جزء يسمى الدراسات الفكرية، وجزء يسمى الدراسات الدينية، وفي كل قسم يتوج المتعلم بشهادة تحوله إلى القسم الأعلى، وأمر أنْ تكون الدراسة مجانية وضمن للتلاميذ المأكل والسكن وكان يتعهد المدارس بالهبات والأوقاف، وكانت الكليتان السليمانية والفاتح نقطتي تحول كبيرتين في الحياة العلمية عند العثمانيين ؛ إذ تمثلان أرفع المستويات التي بلغها الجهاز التعليمي مِنْ حيث أشكاله المعمارية والإمكانات المادية التي تتمتع وثراء برامجه التعليمية ومكتباته(أوغلى، ٢٠٠١م، ٤٦١/٢).

ولقد تأرجح طلب العلم في الدولة العثمانية بين لغات ثلاث، التركية والعربية والفارسية، وأصبح المثقف منوطًا به أنْ يحسن استخدامها، فاللغة التركية التي أثبتت وجودها المدون منذ القرن السابع الهجري كانت زاخرة بالمفردات العربية، كما اقتبست أخرى مِنَ الفارسية وسارت مع العربية وهي الأعلى شأنا، حتى جاء السلطان سليم وفكر في جعل اللغة العربية لغة الدولة(الصباغ، ١٩٨٦م، ص ٩). أمَّا في عهد سليمان القانوني فقد

* الأقجة: عملة عثمانية فضية تساوي ربع أو ثلث البارة ، سكها الغازي أورخان سنة: ١٣٢٧م

رجعت فيه الدولة سيرتها الأولى، وأصبح إتقان اللغات الثلاثة ضروريًا لكل متأدب أو سياسي، وأصبح هذا المسلك طريقة مثالية للوصول إلى المناصب السلطانية، وبعد أنْ انتشرت اللغة التركية في كامل العالم الإسلامي بما فيه الوطن العربي، وأصبح مثقفوه يتقنوها وحتى العامة تداولوا كلمات منها ليست بالقليلة(باشا، ١٩٨٠، ٢٠٤). ومهما كانت اللغة المتداولة عند العثمانيين في حركتهم التعليمية أو الرسمية نجدها قد أفرزت نشاطاً علمياً، كان له ثمار تجسد في بروز مؤلفات كثيرة جداً في ميدان العلوم الدينية والأدبية والتاريخية وأغلبية مؤلفيها كانوا نتاجاً للنشاط العلمي الذي نمى في المدارس الكثيرة المنتشرة في بلاد الترك، وقد قيل أن لا جديد في هذا التراث إذ لم يخرج عن تقليديته وظل مؤلفوه يعتمدون على تدارس علوم السلف من تفسير وحديث وقراءات وفقه بالشرح أو التعليق أو الاختصار أو التصنيف على غرارها(خليفة، ١٩٤١، ٤٢٧/١، ٦٣٥/١، ١٢٨٢/٢).

ولكن قبل الحكم نهائيًا بالتبعية في هذا التأليف في ذلك العصر بالذات يجدر بنا أنْ نذكر عند مسح مؤلفات الأتراك ندرك أنَّه يوجد تيار علمي نشيط له مؤلفات كان محورها العلوم العقلية كالرياضيات والفلك والطب والكيمياء، وفي الحقيقة أنَّ مَنْ يقرأ بدقة كتب التراجم في هذه الحقبة سيخرج بحصيلة خصبة في عمل رائد في شتى المجالات والعلوم(الصباغ، ١٩٨٦، ص ٢٢).

ثانيا: الحالة السياسية

عاش الخلخالي في عهد الدولة العثمانية ما بين النصف الثاني من القرن العاشر والنصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، وكان زمنًا تحكمه الاضطرابات السياسية الداخلية والخارجية، وقد عاش الإمام الخلخالي في ظل أربعة سلاطين للدولة العثمانية وهم:

١- السلطان سليم الثاني (٩٢٦- ٩٨٢هـ).

٢- السلطان مراد الثالث (٩٨٢- ١٠٠٣هـ).

٣- السلطان محمد الثالث (١٠٠٣- ١٠١٢هـ).

٤- السلطان أحمد الأول (١٠١٢- ١٠٢٦هـ).

يُعتبر عصر سليمان القانوني عصر الدولة العثمانية الذهبي، وما أنْ انقضى هذا العصر حتى أصاب الدولة الضعف والتفسخ، فقد كان سليم الثاني، خليفة سليمان، سلطانًا ضعيفًا لا يتصف بما يؤهله للقيام بحفظ فتوحات أبيه فضلًا عن إضافة شيء إليها(جحا و البعلبكي و عثمان، بلا تاريخ، ١٤٦/٦)، وما يميّز عهد هذا السلطان هو أنَّ وظيفة الصدر الأعظم أصبحت تجعل مَنْ يتقلدها الحاكم الفعلي وقائد الجيوش، فلولا وجود الصدر الأعظم محمد باشا صقللي المخضرم في الأعمال السياسية والحربية للحق الدولة الفشل(المحامي،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٢٥٣). لكن حسن سياسة هذا الرجل وعظم اسم الدولة ومهابتها في قلوب أعدائها حفظها مِنَ السقوط مرة واحدة(المحامي،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٢٥٣)، ومِنْ أعمال محمد باشا صقللي أنْ أرسل جيشًا كبيرًا إلى اليمن سنة ١٥٦٩م بقيادة عثمان باشا يسانده سنان باشا والي مصر، لقمع ثورة الزيود وتمكن الجيش مِنْ إخماد الثورة، ودخل مدينة صنعاء بعد أنْ فتح جميع القلاع ومِنْ أعمال الصدر الأعظم أيضًا فتح جزيرة قبرص وانتزاعها مِنْ أيدي البنادقة(المحامي،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٢٥٥).

شنّت الدولة العثمانية في عام ١٥٦٩م أيضًا حملة على مدينة أسترخان، الواقعة على مصب نهر الفولغا في بحر قزوين، بهدف استرداد الإمارة ووضع حد لامتداد روسيا مِنْ ناحية الجنوب، خشية أنْ يؤدي توسعها إلى استيلائها على الطرق التجارية والأسواق الكبرى وإلى هيمنتها على تجارة البلدان الإسلامية، إلا أنَّ هذه الحملة كان

مصيرها الفشل، بسبب امتناع خاقان القرم، "دولت گراي"، عن التعاون مع الجيش العثماني وسعيه شخصيًا ؛ لأنْ يقوم بالاستيلاء على أستراخان وقازان كما تعذر ضرب الحصار على المدينة ؛ لأنَّ الروس بنوا قلعة قوية إلى الجنوب منها، على الطريق المؤدية إليها حالت دون تقدم الجيش العثماني(طقوش، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، ص٢٣٣-٢٣٤)..

وفي عهد السلطان سليم الثاني جرت موقعة ليبانت البحرية التي هزّت صورة البحرية العثمانية والجيش العثماني الذي اعتبره كثيرون لا يُقهر، وتفصيل ذلك أنَّه بعد ازدياد الخطر العثماني في البحر المتوسط على أوروبا، وخاصة بعد فتح جزيرة قبرص، وبعض المواقع على البحر الأدرياتيكي، تحالف فيليب الثاني ملك إسبانيا مع البابا بيوس الخامس، وجمهورية البندقية لوقف التقدم العثماني باتجاه إيطاليا مِنْ جهة، واسترداد جميع المواقع التي فتحوها على حساب أوروبا وبخاصة في شمال أفريقيا من جهة أخرى(طقوش، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، ص ٢٣٧)، فجمعوا مائتين وثلاثين سفينة وثلاثين ألف جندي، وسلموا لواء القيادة إلى الدون يوحنا النمساوي، الذي أبحر إلى خليج باتراس، أحد فروع البحر الأيوني، وهناك اشتبك الأسطولان العثماني والأوروبي في معركة بحرية طاحنة هي إحدى أكبر المعارك في التاريخ الحديث، أسفرت عن انتصار الأوروبيين وانهزام العثمانيين هزيمة منكرة(المحامي،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٢٥٧)، ولم تُقعد هذه الحادثة همّة الصدر الأعظم محمد باشا صقللي، بل انتهز فرصة الشتاء وعدم إمكانية استمرار الحرب لتجهيز أسطول جديد، وبذل النفس والنفيس في تجهيزه وتسليحه حتى إذا أقبل صيف سنة: ١٥٧٢م كان قد تمّ بناء مائتان وخمسون سفينة، وأعلم الصدر الأعظم البنادقة باستعداده للجولة الثانية، ففضلت البندقية أنْ تجنح للسلام ووقعت مع الدولة العثمانية معاهدة بذلك سنة: ١٥٧٣م(طقوش،

١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، ص ٢٣٩)، فتفرغ العثمانيون لمحاربة إسبانيا التي عادت لاحتلال تونس، وكذلك هزموا أمير البغدان الذي تمرّد على الدولة طلبًا للاستقلال، توفي السلطان سليم الثاني سنة ١٥٧٤م، الموافق سنة ٩٨٢هـ(المحامي،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٢٥٨)، وتولّى بعده ابنه مراد الثالث، وفي عهد هذا السلطان تدخلت الدولة العثمانية في انتخاب حليفها "أتيين باتوري"، أمير ترانسلڤانيا، ملكًا على بولندا بعد شغور العرش، وبذا تحولت الحماية العثمانية على بولندا مِنْ حماية اسمية إلى حماية فعلية(طقوش، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، ص٢٤٠)، أمَّا أهم ما حصل في عهد السلطان مراد الثالث هو التوسع العثماني في الشرق، على حساب الدولة الصفوية، فبعد وفاة الشاه طهماسب الأول مِنْ غير أنْ يسمي مَنْ سيخلفه، تنازع أبناؤه على السلطة، فأرسل الصدر الأعظم محمد باشا صقللي حملة عسكرية إلى بلاد فارس لفتح ما تيسر مِنْ مدنها، فضموا إليهم مِنْ أملاكها بلاد الكرج، ثم أذربيجان الشمالية، ثم بلاد داغستان' تعرضت الدولة العثمانية بعد هذه الغزوات لخضّة سياسية عنيفة، عندما تقلّص نفوذ الصدر الأعظم محمد باشا صقللي، ومن ثم قُتل في سنة ١٥٧٩م، فعمّت الفوضى بعد موته بفعل ضعف حلفائه وتمرّد الإنكشارية، وراح الولاة يتنافسون فيما بينهم على منصب الصدارة العظمى، وفي عام ١٥٩٠م أبرم العثمانيون صلحاً مع الصفويين، اعترفوا فيه بما تم ضمه إلى الدولة العثمانية، إضافة إلى جنوب أذربيجان بما فيها العاصمة تبريز، وبعد إبرام الصلح استتب الأمن على حدود الدولة، إن في الشرق أو في الغرب، فثار الإنكشارية في القسطنطينية وفي الولايات نظراً لهبوط قيمة أجورهم، الأمر الذي دفع الصدر الأعظم الجديد، سنان باشا، أن يشغلهم بالحروب مع النمسا في المجر، ونظراً لما وصل إليه الإنكشارية من فوضى توالت عليهم الهزائم، وفقدوا بعض القلاع، وعلى الرغم من أن سنان باشا استطاع أن يستردها لاحقًا' إلا أنَّ أمراء

الأفلاق والبغدان وترانسلڤانيا استغلوا الموقف وانتصروا على الجيوش العثمانية في بضعة معارك واستردوا منهم بعض المدن(طقوش، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، ص ٢٤١و٢٤٣).

تولّى عرش آل عثمان بعد وفاة مراد الثالث ابنه محمد، الذي خرج عن القاعدة التي استفحلت منذ أيام جده سليم الثاني، وهي تولي الصدر الأعظم قيادة الجيش، فقاد الجيوش بنفسه وخرج لقتال المجر والنمسا، وانتصر عليهم في موقعة كرزت سنة ١٥٩٦م(المحامي،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٢٦٨). وفي بداية القرن السابع عشر حصلت في الأناضول ثورة داخلية كادت أنْ تكون عاقبتها وخيمة على الدولة، خصوصًا وأنَّ نار الحروب كانت مشتعلة على حدود المجر والنمسا، وخلاصتها أنَّ قائد إحدى فرق الإنكشارية التي نفيت إلى الأناضول عقابًا لها لعدم ثباتها في موقعة كرزت، ادعى أنَّه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه يبشره بالنصر على العثمانيين، فأعلن العصيان وثار على الدولة وقام بعدد مِنَ الفتن إلى جانب شقيقه، ثمَّ مات بعد أنْ أصيب بجراح في إحدى المعارك، لكن شقيقه استمر يعصي الدولة إلى أنْ أعطته ولاية البوسنة ليحارب الأوروبيين حتى هلكت جيوشه عن آخرها في المناوشات المستمرة بينها وبين النمسا والمجر، وأعقبت هذه الثورة الكبيرة ثورة أخرى في إسطنبول هي ثورة الخيالة، الذين طالبوا بتعويضهم عما لحق بهم مِنْ أضرار جرّاء الثورة السابقة فاستعانت الدولة عليهم بجنود الإنكشارية وأدخلتهم في طاعتها مجددًا (المحامي،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٢٦٨).

ثالثا: الحالة الاجتماعية والاقتصادية:

كانت الدولة العثمانية تتألف من عدة شعوب لكن أهمها شعبان هما: الترك والعرب فالترك الذين منهم السلاطين والعرب الذين يشكلون جزءًا كبيرًا مِنَ الدولة العثمانية وهذا

بالإضافة إلى عدد مِنَ الشعوب الأخرى كالهنود والأوربيين لكنها أقل أهمية لقلة أفرادها ونفوذها وقلة أهمية لغتها(شاكر، ١٤٠٦هـ، ٨/١٨-١٩).

وقد وضع السلطان محمد الفاتح أساس النظام الإداري للدولة ثمَّ أكملها السلطان سليمان القانوني فيما بعد، وكانت للدولة هيئتان حاكمتان تختص كلتاهما بوظائف واختصاصات مختلفة فطبقة القولار تقدم إلى أبنائها تعليما تناول التربية العسكرية وتتناول أيضًا النواحي التثقيفية العلمية المحضة بينما كان اهتمام الهيئة الإسلامية مقصورًا على الدراسات الإسلامية(الشناوي، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ١/٤٥٥-٤٥٦).

فعمل أفراد القولار في الجيش وفي الإدارة المركزية وفي حكومة الولايات وفي البلاط السلطاني، وكان أعلى منصب وصلوا إليه هو منصب الصدارة العظمى وأمَّا أفراد الهيئة الدينية الإسلامية فقد شغلوا مناصب القضاء والإفتاء وتدريس علوم الدين واللغة والمشاركة على نحو ما في إدارة الأوقاف الخيرية وإقامة الشعائر الدينية والإشراف على المساجد والمؤسسات الدينية والخيرية وكان أفراد مِنَ الهيئة الدينية الإسلامية يصحبون شتى فرق الجيش إلى ميادين القتال ويقومون قبل المعركة بتسخين الجنود روحيًا ويذكرون لهم الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تدور حول أهمية الجهاد في سبيل الله ويشرحون لهم مواقف الصحابة حتى استطاعت الجيوش الاسلامية أنْ تدك معاقل الاعداء وكان أعلى منصب يصل إليه أفراد هذه الهيئة هو منصب شيخ الاسلام، وكان التعاون والتناصر بين الطبقات والشعوب المختلفة سائدًا وقويًا ولم يكن المجتمع مجتمع الفوضى أو انحطاط الآداب كما يزعم المستشرقون بل كان متمسكًا بآداب وأحكام الإسلام في معظم الشؤون والأوقات(الشناوي، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ١/٣٦١).

المبحث الثاني

منهج الشيخ الخلخالي

اختلفت مناهج المؤلفين وطرق بحثهم، فلكل منهم منهج خاص به يسير عليه ويتبعه في تأليفه كتابهن ففي هذا الكتاب لم يضع المؤلف معالج منهجه في مقدمته، لذا كان لا بد من بيان منهج المؤلف في كتابه هذا وتوضيحه فبعد استقرائي لهذا المخطوط بنسخه الثلاثة اتضح لي معالم منهج مؤلفه وتفصيله فيما يأتي:

أولاً : المعالم العامة لمنهج المؤلف:

١- يصدر المؤلف تفسير البيضاوي للآيات الكريمات بكلمة : "قوله" ثم يشرع بشرح القول منتقيًا بعض عباراته وليس كل القول، فبدأ بسورة يس إلى آخر القرآن في المخطوط بنسخه الثلاثة.

٢- بعد إيراده قول البيضاوي يقول : دفع لما يقال، بعدها يبين رأيه بقوله: ووجه الدفع، مثال ذلك : عند شرحه قول البيضاوي : **(ورفع بشر لانتفاض النفي المقتضي إعمال ما بـ إلا)** حيث قال المؤلف : دفع لما يقال من أن مقتضى ما المشبهة بـ ليس هو نصب بشر كما في قوله تعالى : **((مَا هَذَا بَشَرًا))** (سورة يوسف، من الآية : ٣١)، ووجه الدفع : أنَّ **ما** إنَّما يعمل بماشبهتها بـ **ليس** في النفي وههنا انتفى وجه الشبه لانتفاضه بـ **إلا** (مخطوط: شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي : [أ/٤]).

٣- عند نقله عن العلماء أو الكتب أحيانًا بنقلها بالنص وأحيانًا بتصرف وقد بينت ذلك في مواضعه.

٤- يورد القول تارة باسم المؤلف نحو: قال الجوهري، وأخرى باسم الكتاب مثل: وفي القاموس، وتارة يذكر القول ولا يشير إلى صاحبه ولا إلى الكتاب نحو: قيل أو قال.

٥- استعمل بعض الألفاظ المختصرة مثل : المص : ويقصد المصنف، و ح : يعني حينئذ.

٦- وضع عنوانات السور بأسمائها المعروفة إلا في بعض المواضع ذكرها بغير اسمائها منها : ذكره لسورة الزمر باسم : سورة التنزيل، وسورة غافر باسم : سورة المؤمن.

ثانياً : منهجه في التفسير بإيراد الأقوال فيه من المأثور:

اتبع المفسرون في تفاسيرهم طريقة أنهم إذا لم يجدوا ما يفسروا به القرآن بالقرآن أو القرآن بالسنة رجعوا إلى المأثور مِنْ أقوال الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين، ولا ريب أنَّ تفسير الصحابة أصوب مِنْ تفسير مَنْ جاء بعدهم، فكان مِنْ منهج المؤلف الرجوع إلى المأثور مِنْ قولهم، ومِنْ أمثلة ذلك :

١- ذكر المؤلف عند شرحه قول البيضاوي : **(و((الْمَلَإِ الْأَعْلَى))** (سورة الصافات، من الآية : ٨) **الملائكة أو أشرافهم)** فقال: وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم الكتبة مِنَ الملائكة، وعنه أشراف الملائكة(مخطوط: شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي: [أ/١٥]).

٢- عند شرح المؤلف قول البيضاوي: **(أو الجهال بالهداية)**، قال: قال الحسن رحمه الله: إحياؤهم أنْ يخرجهم مِنْ الشرك إلى الإيمان(مخطوط: شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي [ب/٣]).

ثالثاً : منهجه في إيراد القراءات القرآنية :

لم يترك المؤلف في شرحه لتفسير البيضاوي القراءات القرآنية دون دراسة وتحليل وبيان ما فيها من معاني لغوية وإعرابية إضافة إلى الإشارة إلى القراءة الصحيحة* (الجزري، بلا تاريخ، ٩/١). منها والشاذة* (الجرمي، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص ٢٢٠)، ومِنَ الأمثلة على ذلك :

١- فمِنَ القراءات التي بينها المؤلف عند شرحه قول البيضاوي: **(وقرأ عاصم وحمزة برفع الأول)** حيث قال : أي : برفعه فقط ونصب الثاني بـ((**أَقُولُ**)) (سورة ص – من الآية : ٨٤)؛ أي : الحق يميني أو أنا الحقن وقوله : (وقرئا مدفوعين على حذف الضمير من أقول)؛ أي : والحق أقوله، فرفع الأول على أحد الوجهين المذكورين(مخطوط: شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي: [ب/٢٩]).

٢- ومِنَ القراءات الشاذة ما ذكره في شرحه لقول البيضاوي : (بفتح التاء) فقال : معلوماً وهي قراءة شاذة(مخطوط: شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي: [ب/١٣]).

رابعاً : منهجه في إيراد مسائل العقيدة وأقول الفرق الإسلامية :

يعد هذا الجانب وهو جانب العقيدة والرد على الفرق من الجوانب الخطيرة؛ إذ يحتاج إلى حجة مقنعة ودليل دامغ، والمؤلف أورد في كتابه هذه مسائل في العقيدة

* القراءة الصحيحة : هي كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا، وصح سندها، وقد أجمع العلماء على صحتها لتوافر شروط الصحة فيها

* القراءة الشاذة: هي القراءة التي تروى أحادًا، وخالفت أحد شروط الصحيحة كمخالفتها لرسم المصحف العثماني.

منها الاسماء والصفات وغيرها، وأيضاً ذكر آراء الفرق كالأشاعرة* (الشهرستاني، ١٤٠٤هـ، ٩٤/١). والمعتزلة* (الشهرستاني، ١٤٠٤هـ، ٣٨/١-٣٩). وغيرهم، فنجده بعد أنْ يصدر قول البيضاوي يشرحه بإيراد هذه المسائل وفيما يأتي أمثلة على ذلك:

١- ما ذكره المؤلف عند شرح قول البيضاوي: **(لأنهم ممن علم الله أنهم لا يؤمنون)** حيث قال: يعني: إنَّ علة عدم إيمانهم تعلق علم الله بعدم إيمانهم وثبوت القضاء منه تعالى بأنهم من أهل النار فيمتنع إيمانهم وعدم دخولهم النار وإلا لزم جهله تعالى عن ذلك علوا كبيراً، ويلزم أيضاً تختلف المقضي عن قضائه أنه باطل أيضاً هذا على طريق الأشاعرة، وأما المعتزلة حيث منعوا كون العلم الأزلي علة الكفر والمعاصي جعلوا علمه تعالى تابعاً لوجود المعلوم مسبباً عنه(مخطوط: شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي: [أ/٣]).

٢- ما أورده المؤلف بعد شرحه قوله البيضاوي: **(وهو لا يمنع تأثيره قدرة الله)** فقال: أي: المذكور مِنَ القرائن لا يمنع ولا يرد ما ذهب إليه الأشاعرة مِنْ أنَّ فعل العبد بقدرة الله وتأثيرها، ولا يمنعه أيضاً ما في المذكور مِنْ إسناد الفعل إلى العبد، فإنَّ الأسناد إليه باعتبار قدرته الكاسبة الغير المؤثرة(مخطوط: شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي: [أ/٣٨]).

---

* الأشاعرة : هم فرقة مِنَ الفرق الكلامية أصحاب أبي الحسن الأشعري اتخذت هذه الفرقة البراهين والأدلة العقلية والكلامية وسيلة لمحاججة الخصوم مِنَ الفرق الأخرى، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية وعلى طريقة ابن كلاب.

* المعتزلة : فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام أسسها واصل بن عطاء، اشتهرت هذه الفرقة بالاعتماد على العقل في فهم العقائد والقول بالأصول الخمسة وهي : التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويلقبون بالقدرية، ويقول بخلق القرآن، ويفرقون بين الذات والصفات.

خامساً : منهجه في إيراد مسائل الفقه وأصوله :

عرض المؤلف بعض المسائل الفقهية في شرحه لتفسير البيضاوي وكان منهجه فيها أنَّه يعرض المسألة ويعزوها إلى القائلين بها دون الترجيح بين الأقوال مثال ذلك :

١- فمِنَ المسائل الفقهية ما ذكره المؤلف عند شرح قول البيضاوي: **(وفيه دليل على أن العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت)** حيث قال: أشار إلى ما رجح عنده مما ذهب إليه الشافعي رحمه الله مِنْ أثبات الحياة في العظم وصيرورته نجسًا بعد الموت، وأمَّا الحنفية: فالعظم طاهر عندهم وكذا الشعر والعصب لعدم حلول الحياة فيها عندهم فلا يؤثر فيها الموت(مخطوط: شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي: [أ/٣١]).

٢- ومِنَ المسائل الأصولية ما ذكره المؤلف حيث شرح قول البيضاوي: **(أمر بالشكر من حيث إنه إنكار لتركه)** ثمَّ قال: وإنكار الشيء أمر بإيقاعه على نحو ما قالوا: إنَّ النهي عن الشيء أمر بضده (مخطوط: شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي: [أ/٧]).

سادساً : منهجه في فنون اللغة :

إنَّ مِنْ أهم آلات التفسير وأدواته اللغة العربية وفنونها ولا بد للمفسر أنْ يعتمد عليها ولا غنى له عنها؛ لأنَّه بها يفهم المراد مِنْ كلامه تعالى، واعتناء المؤلف بهذا الفن بدا واضحًا، حيث اهتم بالجوانب اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية، وكان منهجه فيها على وفق الآتي :

١- اعتنى المؤلف بالجوانب اللغوية وبيان معنى المفردة القرآنية حيث يذكر قول البيضاوي في تفسير الآيات ثم يبين معانيه معتمدًا على معاجم اللغة وأقوال أئمتها، مثال ذلك : ما ذكر عند شرح قول البيضاوي: **(أو فلا إغاثة لهم، كقولهم : أتاهم**

الصريخ) حيث قال: أي : المستغيث، قال الجوهري: الصريخ : الصارخ، وهو المغيث والمستغيث أيضاً، وهو مِنَ الأضداد(مخطوط: شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي: [ب/٩]).

٢- اعتنائه بالجوانب النحوية: فقد ذكر الأوجه الإعرابية في كثير مِنَ المواضع منها: ما ذكره المؤلف في شرحه لقول البيضاوي: **(هو المستحق لعبادتكم والمالك)** فقال: جعل ذلكم: مبتدأ والله : خبره وربكم : خبرًا ثانيًا وقيل : ذلكم : مبتدأ والله: بدل وله الملك: مبتدأ وخبرهما: خبر ذلكم(مخطوط: شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي: [ب/٣٠]).

٣- مِنْ ضمن ما اعتنى به أيضاً الجوانب الصرفية، واهتمامه بهذه المسائل كان جليًا، حيث كان يورد اللفظ ويبين حال بنيته وما يطرأ عليه مِنْ تغيرات تؤدي إلى تغير معناه ومِنَ الشواهد على ذلك :

- ما ذكره المؤلف عند شرح قول البيضاوي: **(أو فعله على أنَّه أصله)**، حيث قال: مِنْ بقائه على معناه المصدري كأنَّه قيل: نزل تنزيلًا(مخطوط: شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي: [ب/٢]).
- وأيضاً ما أورده في شرح قول البيضاوي: **(بالتشديد)**، فقال: على أنْ يكون أصله: يتسمَّعون، فأدغمت التاء في السين(مخطوط: شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي: [أ/١٥]).

٤- كذلك مما أعتنى به الجوانب البلاغية وأولى هذا الجانب أهمية ونجد هذا واضحًا في طيات كتابه ومِنْ الأمثلة على ذلك: ما ذكره المؤلف عند شرحه قول

البيضاوي: **(على سبيل الاستعارة)*** (للجاحظ، ١٤٢٣هـ، ص ١/١٤٢). حيث قال: أي: يجعل التركيب مِنَ الاستعارة التخيلية بأنْ يخيل الحسرة ويفرض كما في قولهم: لسان الحال ناطق بكذا، فيكون أثبات الحسرة لله سبحانه وتعالى، كتخييل اللسان للحال(مخطوط: شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي: [أ/٦]).

٥- أما ما يخص الشعر فمِنْ خلال تحقيقي لهذا المخطوط لم يذكر المؤلف من الشعر إلا القليل في بعض المواضع وأذكر هنا مثالًا للدلالة على ذلك: ما أورده المؤلف في شرح قول البيضاوي: **(كقوله : ولا ذاكر الله إلا قليلا)** حيث قال: أوله: فألقينه غير مستعتب قبله : فذكرته ثم عاتبته... عتابًا رفيقًا وقولًا جميلا(مخطوط: شرح الخلخالي على تفسير البيضاوي: [ب/١٦]).

الخاتمة

في نهاية البحث أجد من الضروري أن أجمل ما كان نتيجة للمادة التي بحثتها في بحثي، وأوجزها بالآتي :

١- أسهم الشيخ إسهاماً كبيراً في النشاط العلمي الذي ساد عصره.

٢- يعد الشيخ – رحمه الله – بحق موسوعة علمية متنوعة، فهو مفسر وفقيه وأصولي ومتكلم ونحوي وبلاغي وغير ذلك، ويمكن عمل دراسات علمية حول جهوده في كل علم من هذه العلوم ودراسة منهجه فيها.

* الاستعارة : هي استعمال لفظ في غير معناه الأصلي، لعلاقة التشابه بين المعنى الأصلي للكلمة وبين المعنى المراد منها مع وجود دليل لفظي أو معنوي يمنع الذهن من إرادة المعنى الأصلي للكلمة بهدف التوسع في الفكرة، أو هي تشبيه حف أحد أركان.

٣- اتضح لنا مدى ثقافة المفسر واطلاعه على العلوم الشرعية المختلفة، كما أعطت صورة واضحة لمدى ارتباط هذه العلوم بعلم التفسير لاسيما علمي النحو والبلاغة.

٤- تنوعت طبيعة الجهد الذي أنفقه الشيخ الخلخالي في شرحه لتفسير البيضاوي، فهو لم يقتصر على جمع الأقوال المأثورة وحشد الآراء المحتملة التي رددها السابقون في شرح هذه الآية أو تلك فحسب، بل أضاف إلى هذا الجهد جهداً آخر عقلياً، تمثل في حسن التصنيف والترتيب، وبراعة العرض والإيراد، ودقة الفهم وعمق الاستيعاب لما يورد من آراء وأقوال

٥- حرص على عزوها إلى أصحابها وسوقها مقرونة بأدلتها، ثم تراه بعد ذلك ينقد ويفسّر ويحلل، وينتخب من الآراء ما تسنده الحجة ويدعمه الدليل، أو يرفض الآراء جميعها منتهياً إلى رأي جديد يراه جديراً بالقبول من جهة النقل أو العقل أو من جهتها معاً.

٦- مزج الشيخ الخلخالي في شرحه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، ففسّر القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين.

وفي الختام اسأل الله أن ينفع بهذا العمل ويجعله خالصا لوجه الكريم فهو نعم المولى ونعم الوكيل

المصادر والمراجع

١- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير (ت:٨٣٣هـ)، (بلا تاريخ): النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ب ط.

٢- أوزتونان، ليلماز ، (١٩٨٨م): تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمد سلمان، مؤسسة فيصل، تركيا، ط١.

٣- أوغلى، أكمل الدين إحسان ،(٢٠٠١): الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، نقله إلى العربية صالح سعداوي، إرسيكا، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١.

٤- إينالجيك، خليل ، (٢٠٠٢): تاريخ الدولة العثمانية مِنَ النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد الأرنؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١.

٥- باشا، عمر موسى، (١٩٨٠): محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني، مطبعة الإحسان دمشق، ب ط.

٦- بروكلمان، لكارل ، (١٩٨٤م): تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: منير البعلبلكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠.

٧- الجاحظ ، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان (ت: ٢٥٥هـ)، (١٤٢٣هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ب ط.

٨- جحا، شفيق و البعلبكي، منير و عثمان، بهيج ، (بلا تاريخ): المصور في التاريخ، دار العلم للملايين، ب ط ت.

٩- الجرمي، إبراهيم محمد ، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م): معجم علوم القرآن، دار القلم – دمشق، ط١.

١٠- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت:٦٢٦هـ)، (١٩٩٥): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢.

١١- الحموي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي ، (ت: ١١١١هـ)، (بلا تاريخ): خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر – بيروت، ب ط ت.

١٢- خليفة، حاجي خليفة أو الحاج (ت: ١٠٦٧هـ)، (١٩٤٧١): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني مكتبة المثنى – بغداد.

١٣- الدمشقي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ)، (٢٠٠٢): الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥.

١٤- الدمشقي، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة (ت: ١٤٠٨هـ)، (بلا تاريخ): معجم المؤلفين، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب ط.

١٥- الشناوي، عبد العزيز محمد ، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م): الدولة العثمانية، مكتبة الأنجلو المصرية.

١٦- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت:٥٤٨هـ)، (١٤٠٤هـ): الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، ب ط.

١٧- الصباغ، ليلى، (١٩٨٦): من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط١.

١٨- طقوش، محمد سهيل، (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م): تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس- بيروت، ط٣.

١٩- عتيق ، د. عبد العزيز ، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م): علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت.

٢٠- المحامي، محمد فريد بك ، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م): تاريخ الدولة العليّة العثمانية، تحقيق: الدكتور إحسان حقي، دار النفائس، ط،١٠ .

٢١- محمود، عامر ، (٢٠١٣): المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية – العددان ١١٧ -١١٨كانون الثاني- حزيران.